بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 3 -

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:-

قبل أنْ نختم المشورة الأولى أقول:-

أبرز ما فهمته من هذه المرحلة مَعْلَمَان:-

الأوّل: أنَّ يد القدرة الإلهية الربانية ملازمة للحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، تنمّي قابلياته الروحية وتحفظها من أيّ شيء يخرمها أو يجعل فيها ضبابية -إذا صحَّ التعبير- إذنْ المَعْلَم الأول: هو الجانب الروحاني لسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، وهناك يدُ القدرة الإلهية تَكلأ هذا الجانب، تحفظه وتنمّيه من دون علم النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، مثل مَعْلَم شقِّ صدره الشريف، وهنا تنمية للقابليات الروحية، وهذا بفعل ربّ البرية جلّ جلاله، فالرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لم يدخل خلوة، ولا تَطلّعَ إلى هذا الأمر، ولم يكن في بَالِهِ، ولكن يد القدرة الإلهية تُعنَى بحضرته في هذه المرحلة بهذا الشكل، حَفِظَ الجانب الروحاني ممّا يَخرِمه، مثلاً:-

لمّا أشار عليه عمّه رضي الله تعالى عنه أنْ يرفع إزاره، ويضعه على كتفه الشريف حتّى يحميه من مَسّ الحجارة لجسده المبارك عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، فلمّا أراد أنْ يفعل هذا الشيء أُغمِي عليه حمايةً وحراسةً؛ لأَنّ

هذا الأمر فِطرة لا يليق بمَنْ سيكون داعية مستقبلاً، ولا تليق بمَن اصطُفِيَ في علم الله جلّ في علاه لِأنْ يكون خاتماً للأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والتسليم وآلهم وصحبهم المكرمين، ويحمل رسالة عالمية للجنّ والإنْس، منذ الإعلان عن هذه الرسالة إلى قيام الساعة، هذا مظهر لا يليق، الشيء نفسه عندما أراد أنْ يسمع للّهو واللّعب، للعرس والطرب، ضرب الله عزّ وجلّ على أذنه الشريفة فما استيقظ إلا بفعل حرّ الشمس، هذا هو المَعْلَم الأوّل.

المَعْلم الثاني: دوافع الفطرة الإنسانية السليمة، وأقصد بالسليمة أي ليست مريضة، أي أنّه لا يعاني من مشاكل نفسية، أو اضطربته الظروف التي مرَّ بها، وجعلته في قلق وحَيرة من أمره صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وإنّما برزتْ وتجسّدتْ معالم رجولته وشهامته وما استودع الله جلّ وعلا في الفطرة الإنسانية من التطلّع إلى ما يُحبّ الإنسان، حتّى من اللهو المباح؛ لأنّه سوف يأتي لهوٌ مباحٌ في هذه الشريعة، فمعنى على الفطرة أي على السجيّة، يندمج الإنسان مع المجتمع فيسمع، وربّما يطرب، وهذه من ناحية اللّهو المباح، ومن ناحية أنّه عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام نهض إلى العمل حتّى ربّما عَمِلَ عملاً هو في أعين النّاس فيه ازدراء - حاشا سيّدنا رسول الله صلى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه- فهو يُشرّف كلّ شيء، حتّى الآن مهنة الراعي يُضرب بها المثل في الازدراء، حتّى أنّ الله عزّ وجلّ حينما رأى ما يقوله المنافقون والمتربّصون بالهمس واللّمز في حياة النبيّ صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه -أنّه كان راعياً- فمنعهم الله سبحانه أنْ يقولوا كلمة تُشير أو تلمّح إلى هذا المعنى فقال تبارك اسمه:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة البقرة: 104]

لماذا؟ لأنّهم كانوا يلْوُون ألسنتهم بالغمز واللّمز في حياة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فالإنسان السويّ صاحب الفطرة السليمة يَعْلَمُ أنّ العمل مقدّس، بغضّ النظر عن طبيعة العمل، وإنْ هيأ الله عزّ شأنه لك فرصة للعمل فتقدّم واعمل إنْ كنت سويًّا في خِلقتك، أمّا المضطرب عقليًّا، وعنده مشاكل نفسية فهو يميّز بين هذه وتلك، وإنْ كان الإنسان محتاجا فما يفتح الله عزّ وجلّ له من رحمته من فرص العمل يتوكّل على الله سبحانه ويعمل، والعمل يسحب عملاً آخر وهكذا.

أذكر مرّة أحد الشباب أعرفه في فتره شبابه عُرض عليه عمل عند ثريّ من الأثرياء، وهذا العمل كان فيه نوع من الازدراء، فقد عرض عليه أنْ ينزح المياه التي تُستخدم للغسل وغير ذلك، تتجمّع هذه المياه في أحواض مدفونة تحت الأرض، وقِسم كانوا يميّزون بينها وبين التي تستخدم لبيت الخلاء -أجلّكم الله تعالى- فعرض عليه أنْ ينزَح من هذه الأحواض في بيت ثري من الأثرياء، وهو شاب مُدْقع الفقر، ينطبق عليه قول الله جلّ جلاله:-

{--- يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ---} [سورة البقرة: 273]

كان عفيفاً جداً، ومضطرًّا للعمل، فانتبه إليه والدي - رحمة الله تعالى عليه- وقدّم له ما يراه واجباً عليه، لكنّه لم يقبل، فقال له: هذا أمر، فقال: أقبله لكنّه دَيْنٌ في ذمّتي، فلمّا عُرض عليه هذا العمل -وأصل العمل مقدّس في الإسلام- قَبِلَ بالوظيفة، وذهب وعمل، فكان هذا العمل سببا لفتح أبواب من الرزق لا تخطر

على بال أحدٍ - سبحان الله - وهو الآن من رجالات الأعمال! رأوا فيه شهامة، رأوا فيه رجاحة عقل مع صغر سنّه، رأوا فيه عِفّة، رأوا فيه نزاهة، رأوا فيه صدقاً، فحوّلوه من هذه الوظيفة، وجعلوه يعملُ معهم في التجارة.

إذنْ يُنظر إلى قداسة العمل، ولا يُنظر إلى نوع العمل، فلا يقال هذا عمل لا أستطيع أنْ أعمله، ويبقى جالساً إلى أنْ تفوته الفرص، وتتجمّع عليه الديون، فهذا يدلّ على أنّ هناك نقصًا في شخصية الإنسان وفطرته، فالإنسان خلقه الله جلّ وعلا لتعمير الأرض، فسيّدنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، في هذه المرحلة برز عنده هذا المَعْلَم على أشُدّه؛ فتراه يعمل، ويدخل في المجتمع، ويتفاعل مع قضاياهم، ويحضر المؤتمرات والحروب، ويحضر فضّ المنازعات، إلى آخره، فهذا مَعْلَم واضح جدًّا في هذه المرحلة، وفي المراحل الأخرى أيضاً بالتأكيد، فنحن نركّز على خصائص كلّ مرحلة؛ لأجل أنْ نفهم ماذا يُراد منّا بدعوتنا إلى الله سبحانه.

إذن الجانب الروحاني مكفول ومدفوع عنه ما يَخرمه، مغذّى برحمة الله تبارك وتعالى؛ لينمو ويُستثمر أكثر فأكثر، والجانب الشخصي الإنساني -إنسان حتّى لو صار نبياً أو لا- فهو إنسان سويّ بكلّ ما تدلّ عليه هذه الكلمة ومرادفاتها، ولو جمعنا كلّ ما في القواميس لن تعبّر عن شخصية الحبيب عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل الطيب، يُتاجر مثلاً، انظر كيف فُتحتْ له الأبواب، ليت الشباب يفهمون هذا المَعْلَم من حياة الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فيا أخي اقْبَلْ بأيّ وظيفة، وسيفتح الله جلّ وعلا لك الأبواب، فقد قَبِلَ بوظيفته على قراريط يرعى الغنم، وإذا به يصبح تاجراً غنيًّا، فهذا مَعْلَم، ويدعمه

أيضاً زواجه عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، فلم يقل أنا يتيم، وليس عندي أحد، وأنتقلُ من كفالة إنسان إلى كفالة إنسان آخر، لا أقبل بالزواج! أريد أنْ أكوّنَ نفسي جيّدًا ثمّ أتزوّج! وهذا خطأ، وهنا رسالة أوجّهها إلى الشباب أن استفيدوا من حياة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، ثمّ إنّ بعض الأعراف فيها خير، فمثلا النّاس معتادون أنْ تكون المرأة أصغر من الرجل، وهذا أمر حَسَن؛ لأنّ المرأة مسكينة تتعب كثيراً، من حَملٍ إلى إرضاع، وأمراض الحمل والإرضاع، وتعب البيت، ومداراة الزّوج، وبعض الرجال -مع الأسف- لا يقدّرون لها قدرها؛ ذلك لأنّهم لا يشعرون بآلامها؛ ولم يقدّر الله تعالى لهم ما قدّره على النساء، حتّى عاداتها الطبيعية -عندما تمرّ في مرحلة العذر الشرعي- فهي تتحمّل آلامًا كثيرة جدًّا،-آجرهنّ الله سبحانه-، وتكون في نفسيّة معيّنة قد لا ينتبه لها الرجل، وبالتالي تَكثُر المشاكل - نعوذ بالله جلّ في علاه- فمن الحكمة أنْ تكون المرأة أصغر من الرجل؛ لأنّ مهمّاتها كبيرة، ومتاعبها كثيرة، وبُنْيَتها ضعيفة، إلى آخره، لكنّ هذا ليس قانونًا، هذا لا يمنع من أنّه إذا كان هناك أمور أخرى، مآرب أخرى، يمكن أنْ يتجاوز الإنسان عن هذا العُرْف، وهذا ما حصل لسيّد الخلق صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الفضل والذوق، بعد أنْ خطبته السيّدة خديجة رضي الله تعالى عنها، أمّنا الجليلة، الله عزّ وجلّ يرحمنا بها وببركاتها، فلم يتردّد النبيّ عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، وقام في كلّ ما يجب عليه كرجل شَهم، قدَّرَ هذا الحبّ، وقدَّر هذا الباب الذي فتحه الله تعالى له، لأجل أنْ يرفده الله جلّ ذكره، ويؤيّده في هذا الزواج؛ لأنّ فيه من علوّ القدر من حيث العشيرة؛ فذلك المجتمع كان عشائريا، وفيه من قوّة المال، وقوّة

المال في كلّ عصر لها سلطانها في حياة النّاس، في أيّ عصر إنْ لم يكن هنالك مال فالأمور صعبة، متعبة، وضعيفة، فلم ينظر إلى الزواج من باب أنّه كيف يتزوّج امرأة أكبر منه سنًّا، مَنْ ينظر بهذه النظرة فهو لا يفكّر إلّا أنَّ الزواج متعة، وليس الزواج هكذا، إنّما الزواج معاونة ومناصرة، وأعظم تعبير عنه ما قاله الله جلّ ثناؤه:-

{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [سورة النساء: 21]

وصدق ربّ العزة.

فأرى أنّ هذين المَعْلَمَين واضِحَين جدًّا في هذه المرحلة:-

الأول:- مَعْلَم اليدُ الخفية للقدرة الإلهية تحمي سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، وتنمّي قابلياته الربّانية.

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه: 41]

{--- اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ---} [الأنعام: 124]

هذا الخير الموجود لابُدّ أنْ يُنمّى.

والثاني:- قوّة الجسد والروح والفطرة وطهارتها ونظافتها، تجسّدت بالشهامة، تجسّدت بالرعاية، وبهذا تجسّدت العناية، وفي هذه المرحلة هدايات كثيرة جدًّا، وفيها معالم كثيرة جداً، فيها جزئيات تدخل تحت هذه المعالم كثيرة جداً، وعندكم شواهد أخرى يمكن أنْ تضعوها تحت المجهر -إنْ صح التعبير- لنرى الجوانب التي خُفيت علينا في هذه المعالم، وبهذا أختم المشورة في هذه المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية: وتبدأ قبل الإعلان عن نبوّته صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم بستة أشهر تقريباً إلى نزول أوّل مقطع من القرآن الكريم الذي هو خمس آيات من سورة العلق، وهنا المعادلة سوف تختلف، وبعض المعالم سوف تزيد وأخرى سوف تتأخر، فالرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أهل الجود والكرم، بعد تلك المواقف في المرحلة الأولى، يرسم لنا بسيرته الشريفة أنّ الحياة لا تنهض بكمال الرجولة فقط، وما ينبثق عن هذا الكمال من رجولة كاملة وفطرة سليمة؛ أنْتَجَ منها عملاً ماديًا، وأنْتج منها زواجًا، وأنتج منها مداخلة وحرصًا على المجتمع، هل هذا يكفي للدعاة للنهوض بالأمّة؟ لا، هذا غير كافٍ، وإنّما لابُدّ من المَعْلَم الأوّل في المرحلة الأولى، وهو مَعْلَم الرّوحانية، ولابُدّ أنْ تدخل تحت إرادة الداعي، فيحاول تنميتها أيضاً بفعله هو، لابُدّ أنْ يفكّر بالعبادة، يفكّر بالتأمّل، فلا يترك الأمر لتصرّف الله جلّ وعلا فيه فقط؛ لأنّنا في دار التكليف، فمثلا: يا سعد الله، أنت مُرِيْد عند سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، الله عزّ وجلّ بعثه لي رحمة، فأيقظني من غفلة، هل أتكئ عليه فقط؟ لا، لابُدّ أنْ تُجاهد نفسك، ولابُدّ أنْ تأخذ بالمنهاج المتوفّر تحت يديك، فالرسول عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه العدول، توّلاه الله تبارك اسمه، فشقّ صدره الشريف مِنْ قَبْل:-

{--- اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ---} [الأنعام: 124]

وبعدها تولّاه فشرح صدره عليه من الله تعالى أفضل صلاة وأتمّ سلام، وحماه وعصمه، فهل يقعد بعد ذلك لا يفعل شيئًا؟ لا، لابُدّ أنْ يجاهد، ويثابر، ويعمل العمل الروحي.

فهذا المعلم بدأ يكبر في هذه المرحلة، فبدأ يشارك في مؤتمر، يشارك في حلف، ولكنّ قومه يعبدون الأصنام، ويدنّسون البيت الحرام، ويقطعون الأرحام، ماذا سينقذهم؟ لابُدّ أنْ يتأمّل، والتأمّل عمل روحي، التأمّل ليس رعي غنمٍ، التأمّل ليس زواجاً، التأمّل خلوة وعمل روحي، في البداية كانت مجرّد زيادة اندفاع روحانيته الشريفة للتأمّل وانزعاجه ممّا يرى أمامه؛ فولّد عنده ثمرة عظيمة، ما هي هذه الثمرة؟ إنّها الرؤيا الصادقة، فأوّل ما بُدئ به صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم كما قالت أمّنا السيّدة عائشة رضي الله سبحانه عنها، هي الرؤيا الصادقة، المنام الصادق:-

(كَانَ أُوَّلُم مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْي الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاّ جاءَت مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ) الإمام البخاري رحمه الباري عزّ شأنه.

إذن ماذا نفهم من ذلك يا أحبتي؟ نفهم أنّ هذه الثمرة هي نتيجة عملٍ روحانيٍّ، وهو التأمّل، من كثرة ما شغله نجاة قومه، ولم يكن هناك وحيٌ جاءه شيء له علاقة بالوحي، وهي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وهو المنام الصادق، يأتيك أحد يقول: أنتم الدراويش ذهبتم بنا إلى الرؤى وإلخ! نحن لا نتحدّث عن رؤانا، نحن نتحدّث عن رؤى مَنْ هو مؤيّد من الله سبحانه، والرؤى كلّما كان الإنسان صالحاً كانت أقرب إلى الواقع، فهذه الرؤيا لها أحكامها، وسنجد إنْ شاء الله تعالى في المرحلة الثالثة كيف أنّ الله جلّ جلاله تحدّث عنها في آيات القرآن الكريم؟ والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم تحدّث عنها في

سُنّتِه القولية، واعتنى بها في سنّتِه الفعلية، فكان كثيراً ما يسأل أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم بعد صلاة الفجر:-

(هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

فإذن الآن بدأت أنوار الإعلان عن الوحي التامّ لخير الأنام عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام بدأت تظهر مثل ضوء الفجر الصادق قبل بزوغ الشمس، وهذه سنّة الله عزّ وجلّ دائماً، قبل حدوث الظاهرة الكونية الكبيرة مثل شروق الشمس أو غروبها هنالك ظواهر كونية تصاحبها، فيتنفّس الفجر؛ لأنّ الشمس آتية، وبعد تنفّس الصبح أو الفجر يبدأ يتّسع هذا التنفّس شيئاً فشيئاً إلى أنْ يبرز قرص الشمس، وهنا نحن الآن في مرحلة تنفّس الفجر في المَعْلَم الأوّل المهمّ، في المرحلة السابقة كان كأنّه ليل، كانت يدُ القدرة الإلهية تعمل بالخفاء، لم يكن شيء بفعل النبيّ صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين، بينما هنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم ينام ولكن فكره مشغول بإنقاذ الأمّة، كيف يُطهّر البيت الحرام من الأوثان؟ ويعيد البيت الحرام إلى الحنيفية، إلى دين سيّدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، الذي شرّف البيت الحرام بأنْ يطهّره ويرفع قواعده، فهذا الانشغال والتأمّل والتدبّر هو نوع من العمل الروحي، وهذا العمل الروحي أثمر أوّل ما أثمر: الرؤيا الصادقة، فكان المنام يأتي مثل فلق الصبح.

برزت العناية بالجانب الروحاني بشكل أكبر بالتدبّر والتأمّل، فلا يكفي أنْ أكون نائماً وأنا أفكّر كيف أخلّص الأمّة، إنّما حُبِّبَ إليه الخلاء عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الأتقياء، فكان يخلو الليالي ذوات العدد في غار حراء، وفي شهر

رمضان، وقبل رمضان، فنرى الآن عناية ربّ العالمين عزّ وجلّ واهتمام النّبيّ المبجّل صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الكُمّل بالموضوع، هنا نجد نوعا من التكافؤ، لكنّنا نرى أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم يكلّف نفسه أكثر، عندما تقرأ النصّ يجب أنْ تفحصه فـ (حُبِّبَ) بالبناء للمجهول، لم يقل: أَحَبَّ الخَلْوَةَ، وإنّما حُبِّبَ إليه الخلاء، وهنا يبيّن فعل الله جلّ في علاه ولكن لماذا(حُبِّبَ) إليه؟ هذا مِثل:-

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ---} [سورة البقرة: 144]

بمعنى أنّه: لكثرة تطلعّك إلى التأمّل سنجعلك تتأمّل بأرقى وجه من وجوه التأمّل، إذن نحبّب إليك الخلوة لأنّ التأمّل مع المخالطة ضعيف، إذنْ بنيّتِه الصادقة، الله سبحانه أكرمه بهذه الثمرة اليانعة الطيّبة المباركة، مثلما كان بنيّتِه الصادقة في التوجّه إلى البيت الحرام.

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ---} [سورة البقرة: 144]

فجاءه ما يرضيه، فالآن اختيار المكان متروك له، فأين سيذهب للخلوة؟ ربما يذهب في وادٍ، أو تحت شجرة ويتأمّل، لا، بل إنّ قوّة صدقه، وقوّة رجولته، وقوّة شخصيته وتأييد الله عزّ جاره له اختار أعلى قمّة، واختار أفضل جَبَل، واسمه جبل النور -يا سبحان الله- فالنور فوق النور، نور على نور، في غار حراء، لماذا اختاره ويوجد كهوف غيره في الجبل؟ ذهب إلى حراء، وهو من التحرّي، فالاسم يضفي على ما في القلب من توجّهات، فانتبه على قلبك، وانتبه على توجهات قلبك، وتذكّر قول الله تقدّست أسماؤه:-

{--- فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [سورة الفتح: 18]

فإذا تفحّصت ما يدور حولك، فكلّ شيء له أسباب، مثلاً: أنا عندي يقين أنّ مِن ضمن أسباب حِرماننا من مساجدنا هو أنّ بعضنا ضَجر من العمل في المسجد، وضجر من تهيئة الخطبة، ومِنْ قدوم رمضان، وبعض النّاس يريدون صلاة التراويح، والبعض الآخر يريدون صلاة التسابيح، ومنهم مَنْ يريد تهجّد، وماذا نقول لهم؟ وهذا سبب من أسباب حرماننا من نعمة المساجد، ربما بعضنا يضجر لأنّ عنده مربٍّ يوجّهه، افعل كذا وكذا في المسجد، ويقول: ماذا رأينا غير الأوامر؟ هي ليست أوامر، وإنّما هي إضاءات المربي، يضيء لك الطريق، وأنت حرٌّ في الاختيار، قال تعالى:-

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ---} [سورة الكهف: 29]

مع الفارق طبعاً، ما يُراد هنا بالإيمان الشرعي، فمَنْ يريد أنْ يؤمن بأنّ هذا هو الطريق الأسلم الذي وجّهه إليه المربي فليتوكل على الله عزّ وجلّ، ومَنْ يكفر بهذه النعمة، ولا يعطيها حقّها فستكون سبباً من الأسباب التي تجتمع وتؤدي إلى حِرمان النّاس من كرم الله سبحانه، وتبقى رحمته جلّ جلاله للمؤمن الصادق في كلّ شيء، لبعضهم عقوبة ولبعضهم ترقية، ولبعضٍ عذاب، ولبعضٍ رحمة، وما قال:-

{--- لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ---} [سورة النور: 11]

لمَنْ هبَّ ودبَّ، وإنّما قالها للصحب الكرام رضي الله تعالى عنهم وعنكم.

وقد أشرْتُ إلى ذلك عندما تحدّثت عن هذا الوباء، وما يتعلّق بالفتاوى وإغلاق المساجد والحضور فيها، وحكم حضور المريض، وصلاة الجمعة في المسجد، وكلّها موجودة في الموقع، وأرجو أنْ تُلقوا نظرة على الموقع يوميًّا، وأدعو الله

تعالى أنْ يربط الأمّة بهذا الموقع، يا ربِّ انشر خير هذا الموقع على الأمّة، يا ربِّ هيّء مَنْ يترجم الموقع إلى اللغات العالمية فينمو ويتألّق، ونحن في وقت يجب أنْ نستثمر نِعَمَ الله جلّ وعلا علينا، أليستْ الآن جلستنا من نعم الله تبارك في علاه علينا؟ نعم والله، وهذه رحمة الله عزّ وجلّ.

إذنْ الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم هو مَنْ يختار ويدعّم ويعزّز مسيرته الروحانية، حُبِّب إليه الخلاء هذا بفعل الله جلّت قدرته، فالفعل مبنيّ للمجهول، وبالتأكيد الفاعل الأوّل هو الله سبحانه، وربّما يكون الفاعلون أكثر من واحد، وفي قرارة قلبي أنّ الرسول عليه صلاة الله تعالى وسلامه ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر وعلى آله وصحبه أهل النقاء والطهر، كان سببًا في ذهابه إلى الخلوة، الله جلّ ثناؤه حَبّبَ إليه الخلوة، وهو يُحِبُّ الخلوة، فله نسبة من الفاعلية هنا أيضًا، لأنّ الإنسان لا يستطيع أنْ يعطي كلمة الفصل والتصرّف السليم والصحيح لمشكلة إذا لم يخرج منها قليلاً؛ لذلك ماذا أوصى الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين، الغاضِبَ؟ هل قال له أنْ يبقى في دائرة الغضب؟ لا، بل قال:-

(إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ)

الإمام أبو داود رحمه الغفور الودود جلّ وعلا.

فإذا كنت تعيش في وسط المشكلة فلا يمكنك أنْ تحلّها، ولكن اسحب نفسك منها قليلا؛ حتّى يكون تأمّلك من دون تأثيرات جانبية، مثلاً: حَدَثت مشكلة عائلية مع زوجتي وأولادي، وابني وقف إلى جانبي، وابنتي وقفت إلى جانب أمّها، وهكذا

الأمور ادلهمّتْ، ولا حلّ للمشكلة، فلابُدّ لي أنْ أخرج فأتوضأ، أو أقضي حاجة، فالخروج من الأزمة يعطيك قوّة في حلّها.

إذن فالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم يختار جبل النور، ويختار غار حراء، ويختار الجبل الوعر حتّى يعلّمنا أنّ المجاهدة تحتاج إلى رجولة، تحتاج إلى ثبات، تحتاج إلى قوّة وإيمان، تحتاج إلى انتزاع المثبطات، فأنا اليوم متخاصم مع أخي وأنا مكبّل بهذا الخصام، وبهذا الذي حدَث، وقلبي مكبّل، فكيف تستطيع أنْ تصل إلى الصلح، وإلى صفاء القلوب، إلى تصافح الأيدي بصدق، بحيث يؤدي إلى غفران الذنوب؟

ومَنْ لم يتشرّف بعد بزيارة غار حراء فليذهب ويصعد، أذكر عندما كان عمري أقلّ من ثمانية عشر سنة في حجّي الأوّل، في سنة 1972م حتّى جواز سفر لم أُعْطَ بسبب صغر سنّي، فأعطوني بطاقة أسافر فيها، ذهبْتُ وصعدْت إلى غار حراء، واللهِ انقطعَ نَفَسِي، قُلْتُ: يا سيّدي يا رسول الله عليك صلاة الله تعالى وسلامه، كيف تحمّلتَ وعُمرُك يقارب الأربعين، وتصعد على هذا الجبل، واللهُ أعلم كم كان وعراً في ذلك الوقت؟ وكم فيه من المؤذيات والمخاطر؟

فيا مَنْ تتطلعون إلى الرّحمات تحمّلوا المؤذيات، تحمّلوا المشقّات، لا تُعطي مجالاً لنفسك للاسترواح، أنا كِبرتُ، أو أنا مريض، لا، قم بواجبك، هناك مشكلة لابُدّ من حلّها حتى لو اقتضى حلّها أنْ أتحمّل المخاطر.

فهو في أوّل سنين تمتعه بذريته وبزواجه، والغنى الذي أغناه الله تعالى به، مع ذلك يَترك كلّ هذا ويذهب وينقطع الليالي ذوات العدد، فنحتاج إلى التمسّك بالمَعْلم

الذي يجسّد توجّهنا إلى الله سبحانه، واختار غار حراء لأنّه بمجرّد أنْ تتشرّف بهذا الغار تكون الكعبة الشريفة أمام ناظريك:-

{--- فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ---} [سورة البقرة: 144]

الآن، يوجد برج الساعة، وأبراج الأمراء، وبئس ما صنعوا، الله تعالى يهديهم أنْ يزيلوها ويجعلونها ساحات حول الحرم الشريف المحترم، ويأخذون فنادقهم بعيداً، اللهمّ أبعدها، وصار مرّة هكذا دعاء في مجلس سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، واستجاب الله تعالى، وبدأت بعضها تزحف والحمد لله، هذه التطويرات الأخيرة في الحرم، بدأوا يزيلون قسماً من الفنادق ببركة دعوات الصالحين، والوصول إلى الحرم ليس صعباً في ظلّ هذه التقنيات الحديثة، يستطيعون أنْ يعملوا شوارع متحركة وهذا مقترحي، ما هو الشارع المتحرّك؟ يشبه المسار الذي في المطار تقف عليه وهو يوصلك.

إذنْ الآن في هذه المرحلة مجاهدته في إثراء روحانيته بدأت تظهر، بالتأكيد هي في كلّ المراحل رعاية وعناية الله جلّ ذكره لكن الآن تظهر؛ لأنّنا في دار العمل:-

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [سورة التوبة: 105]

فأعمالك محفوظة فانتبه، ستُنبأ بها، وأسأل الله جلّ في علاه أنْ يعفُو عنّي وعن أحبابي، ويرحمهم بغير سابقة حساب أو عذاب، إنّ ربي سبحانه كريم وهّاب.

إذن الخروج من المجتمع لحلّ مشاكله وللتأمّل، والتأمّل يحتاج إلى مجاهدة، يحتاج إلى مخاطرة، يحتاج إلى بذل، يحتاج إلى عطاء، تبرز في هذه المرحلة جوانب أخرى مثلا:

أمّنا السيّدة خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها، وموقفها مع الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم كان معروفاً بشكل عام، المرأة خاصّة إذا كانت غافلة عن رسالتها لا تعطي الحرية لزوجها، ثمّ توقّع أنْ تقول له: أين أنت ذاهب؟ تريد أنْ تتعبد؟ تعال وتعبّد في البيت؟ ومَنْ يقول أنّك ذاهب للعبادة؟ وفي ذلك الوقت لم تكن هذه التقنية فتكشف موقعه صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لا، بل على العكس، هي كانت تزوّده بزاده، وتبذل له كلّ ما تستطيع من معاني ومباني، من أمور معنوية أو مادية.

وأروي لكم عن سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، سماعاً منه، من فمه الشريف إلى أذني، قال رضي الله تعالى عنه وعنكم: ما بكيت على قبر كما بكيت عند قبر أمّنا السيدة خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها، هو بكى على قبور أخرى لكن ليس كبكائه على قبر السيّدة خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها، ونحن الآن التيّارات تمنعنا من زيارة قبر أمّنا، نعوذ بالله من هذه التيّارات الضالّة المضلّة، ثمّ نظر إليَّ وقال: لِمَ لا تسألني فتقول: ولِمَ بكيت على قبر السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها؟

لم أستطع؛ لأنّ الأجواء كانت جدًّا روحانية، وهو يروي ويبكي، فكيف أسال؟ فبقيتُ متشبّثًا بالسكوت، فقال: لأنّها أعطتْ كلّ شيء، ولم تأخذ أيّ شيء.

طبعاً المراد هنا بالشيء الأمور المادية، أمّا المعنوية فإنّها حصَلت من الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم ما تستحقه وأكثر، لكن هذا الكلام في الماديات، أعطت كلّ شيء، أعطت أموالها، أعطت راحتها، أعطت أنوثتها، أعطت عاطفتها، أعطت كلّ شيء، ولم تأخذ أيّ شيء، لأنّها انتقلت قبل قيام دار الإسلام، لا يوجد غنائم، ولا مناصب ممّا تشتهيه النفس، مما تتطلّع إليه، لم تكن موجودة في ذلك الوقت.

إذنْ هذه المرحلة الثانية من حياته الشريفة، المَعْلم الروحاني: مجاهدته في ترقية روحانيته أكثر، بيان اهتمامه بالأمّة أكثر، هذا المَعْلَم الآن يتجسّد في هذه المجاهدة وهذه الخلوة، وتتعلّق فيها صورٌ كثيرة، وذكرتُ منها مثلاً موقف أمّنا السيّدة خديجة رضي الله تعالى عنها وعنكم، وربّما أذكر أموراً أخرى في مشورة قادمة إنْ شاء الله جلّ وعلا.

وصلّى الله تعالى وسلّم على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.